حكايات جدتي

القط ملكا على الغابة



بقلم
جلاء شوقي

القط ملكا على الغابة

عاش القط مشمش في بيت النجار ، وكان أيام شبابه ماهرا في صيد الفئران ، حين كان نشيطا خفيف الحركة ، يبحث عنها ويطاردها في كل مكان . أما الآن فقد ولت أيام الشباب ، وأصبح قطا كسولا ثقيل الحركة إما لكبر سنه أو لمرضه الذى أصابه أخيرا . ولم تعد للقط مشمش أية فائدة سواء في داخل البيت أو في عشة الدّجاج والبط والوَز ،فقد كف من مدة عن مطاردة الفئران ، وأصبح يبحث عن طعام له أسهل وأشهى ، فيخطفه من مطبخ البيت في غفلة من زوجة النجار ، لا سيما بعد أن امتنع أصحاب البيت عن تقديم الطعام له . فلم يعد ما في البيت من زبدة وقِشدة ، ولبن وجبن ، ولحمة وخبز ، تسلم من عدوانه .

وراحت زوجة النجار تطارده وتشكوه إلى زوجها ، وتقول له فى غضب : لماذا تحتفظ بهذا القط عندنا ، بعد أن صار لا فائدة فيه ؟ فلم يعد طِوال السنة الماضية يمسك بذيل فأر واحد ، حتى إن الفئران صارت تسخر منا ومن قطنا الكسول الذى لا يسبب لها أى إزعاج ، ويكتفى طوال الوقت بإزعاجنا نحن أصحابَه ، فلا نستطيع أن نحتفظ بأى شىء بعيدا عن عدوانه ، هذا وقد تكاثرت الفئران وراحت تمرح فى البيت بحرية ، فماذا أنت فاعل يا زوجى العزيز ؟ هل تتركه هكذا يفعل بنا ما يشاء ؟

أخيرا ، اتفق الرجل وزوجته على أن يأخذ القط معه عندما يذهب إلى الغابة لإحضار بعض الأخشاب ، ويطلق سراحه هناك .

وفى صباح اليوم التالى ، وضع الرجل القطَّ العجوز مشمش فى كيس ، وحمله معه إلى الغابة . فلما انتهى من قطع ما يكفيه من الأخشاب ، أخرج القط المسكين من

الكيس ، ورماه فى بقعة منخفضة من الغابة حيث تتجمع مياه الأمطار ، ثم انصرف على عجل وهو يدفع عربته الصغيرة المحملة بالأخشاب أمامه . فراح القط العجوز يفكر فى حزن شديد ، ويقول فى نفسه : لو أننى كنت كلبا لجررت له العربة ـ مع كرهى لذلك ـ ولما تركنى هكذا للأقدار لا حول لى ولا قوة ، ولكن طبيعتى لا تسمح لى أن أفعل ما يستطيع أن يفعله أىّ كلب .

وراح القط يتلفت حوله يمينا ويسارا ، ثم قال فى يأس : الظاهر أنى سأبقى هنا حتى أهلك من الجوع .

ولكن القط سمع فجأة صوتا يناديه . فالتفت إلى الناحية التى يأتى منها الصوت ، فوجد ثعلبة تنظر إليه متعجبة ، كوافد جديد إلى الغابة لم تر له شبيها من قبل ، ثم سمعها وهى تخاطبه تقول :

ـ يوم جميل أيها الحيوان الطيب !

أجابها وهو يدير وجهه عنها ، وقد تملكه الغضب من صاحبه النجار الذى تركه ومضى ، بعد كل ما عمِله له طِوال عشرته الطويلة معه :

ـ يوم جميل .. إن أردت ذلك .

قالت الثعلبة : من أنت وما اسمك ؟ وما الذى جاء بك إلى هنا ، وماذا تريد ؟

قال : أنا القط مشمش ...

وراح يحكى لها حكايته كلها .

أطرقت الثعلبة برأسها ، ثم قالت فى نفسها :

ـ مهلا .. مهلا ! ألا تستطيعين أيتها الثعلبة أن تجعلى من هذه الفرصة التى سنحت لك ، ميزة تستفيدين منها ؟ فالقط مشمش حيوان جديد بالنسبة لحيوانات الغابة ، لم تر مثله من قبل ، ولم تسمع عنه شيئا . فيمكن أن أستعمله كوسيلة لتخويفها منه .

قالت الثعلبة بعد أن أعجبتها الفكرة :



ـ استمع إلىَّ جيدا أيها القط مشمش .. أنت الآن صديقى وأنا آسفة لكل ما حدث لك ، وسوف أساعدك .. تعال عش معى ولا تتوقع أن تجد عندى الكثير الذى تطلبه ، ولكن مرحبا بك فى حدود القليل الذى أملكه .

قال القط مشمش :

ـ شكرا لك لعطفك الكريم علىّ ، وأنا أقبل دعوتك لى .

قالت الثعلبة : هيا بنا إذن !

وأخذته إلى جحرها وراحت تحفر بمخالبها لتوسع جحرها فجعلته على هيئة قمع ، حتى يبدو الجحر مخيفا ، ثم طلبت من القط أن يرقد داخل الجحر ويستريح . ثم انطلقت تنادى حيوانات الغابة ، وقالت لها : إنى أحمل لكم رسالة هامة .

فتجمعت حيوانات الغابة كبيرها وصغيرها ، لتسمع الرسالة التى جاءت بها الثعلبة .

قالت الثعلبة : هل سمعتم أيها الأصدقاء عن الحدث المثير الذى حدث فى غابتنا ؟ فقد جاء إلينا حاكم جديد أكثر شراسة وعنفا من كل حاكم عرفناه من قبل . إنه القط مشمش ، وإن له وجها ذا شوارب طويلة ، ولسانا حادا كأنه الإبرة ، وعينين مضيئتين ملتهبتين ، ومخالب كأسنان المشط ، وذيلا طويلا كذيل الأفعى ، وعندما ينام يغط فى نومه كحيوان كسلان .. أما فى يقظته فلم أسمع منه إلا كلمة واحدة لا يزال يرددها هى كلمة أكثر .. أكثر .. أكثر ، مهما يكن نوع الهدايا التى تقدم له . وقد طردنى من منزلى الذى أسكنه أيها الأصدقاء بعد أن أعجبه ، ولكننى لن أحزن لذلك ولن أشكو . وكل ما أفعل هو أن آخذ أمتعتى وأشيائى وأذهب إلى جذع شجرة أو إلى أى جحر . ولن يتركنى بعد لحالى ، فقد أمرنى أن أتولى أمر غذائه ، وهذا ما لا أستطيع أن أقوم به وحدى ، فكل مخزونى من الغذاء التهمه الحاكم فى يومه الأول ، ولم يعد

عندى شىء أقدمه له الآن ، ولذلك أمرنى أن أدعوكم جميعا لاجتماع ، لأطلعكم على مطالب الحاكم الجديد .. وقد أصدر أوامره أن يتولى الاجتماع الترتيبات اللازمة لتوفير ما يحتاج إليه كل يوم ، من اللحم واللبن بكميات كافية .

هذا ما كلفت أن أبلغكم إياه ، وأنتم الآن تعرفون ما هو مطلوب منكم . ولكن احذروا أن يغضب الحاكم الجديد منا ، وإلا فالويل لنا جميعا .

ساد الاجتماع حالة من الجلبة والهياج ، وراح الدب ينشب مخالبه فى جسمه من فرط الغضب ، وتحركت كل الحيوانات متجهة إلى بيوتها ، وكل منها يذكّر نفسه بما يجب عليه أن يحمله إلى جحر الثعلبة ، فى الوقت المحدد لذلك .

وفى صباح اليوم التالى ذهبت الحيوانات كلها إلى جحر الثعلبة ، ووضعت ما كانت تحمله من هدايا ، وقد استولى عليها الخوف والرهبة .



فأحضر الذئب نصف خروف ، وأحضر الدب العسل الذى سطا عليه من بيت النحل ، وأحضر ابن عرس بطة جاهزة معدة للطهى بعد أن نتف ريشها ، وأحضرت زوجته بعض البيض ، وكذلك أحضر السنجاب بعض الثمار .

وهكذا أحضر كل حيوان ما استطاع ، ووقفت الحيوانات كلها فى صف واحد لا يجرؤ واحد منها على الاقتراب من الجحر .

ونظرت الثعلبة من ثقب جحرها ، ثم أخرجت رأسها وهمست :

ـ ما يزال حاكمنا نائما ، ولا أجرؤ على إيقاظه . فلننتظر حتى يستيقظ .

خرج الدب فجأة من بين صفوف الحيوانات وقال :

ـ اسمعى أيتها الأخت ..

فقاطعته الثعلبة وقالت :

ـ لا أيها الدب .. اسمح لى أن أقول لك إنى لست أختك الآن ، بل أنا زوجة الحاكم ، فقد جاءنا القط مشمش وهو أعزب ، بينما بقيت أنا كما تعلمون جميعا أرملة مسكينة لسنوات طويلة .

وأخيرا تفضل علىّ القط مشمش وطلب منى أن أتزوجه . ولذلك أطلب منكم جميعا أن تخاطبونى من اليوم فصاعدا بوصفى زوجة الحاكم .

تبادلت الحيوانات نظرات الدهشة فيما بينها ، ثم هزت أكتافها ولم تنبس بكلمة .

وبعد قليل خرجت الثعلبة من جحرها ، واستدعت أكبر الحيوانات سنا لتتقدم واحدا بعد واحد لتعرب عن احترامها وولائها للحاكم . ولكن الحيوانات خافت ولم يتزحزح أى حيوان من مكانه ، واكتفى كل منها بالنظر إلى صاحبه وقال :

ـ اذهب أنت أولا .. هيا تقدّم .

وأخيرا تم الاتفاق فيما بينها أن يتقدم الخنزير . واقترب الخنزير قليلا من الجحر وحاول أن يهذب من صوته المنكر المزعج ، فصاحت زوجة الحاكم فى وجهه وجذبته بعيدا وقالت له :

ـ إن سلوكك هذا غير مهذب ، وبعيد عن اللياقة .

وطلبت الحيوانات من الدب أن يتقدم .

وراح الدب يخطو نحو الجحر ، ولكنه تجمد فى مكانه عندما رأى من فتحة الجحر المظلم ، عينين ناريتين تبرقان وتضيئان وجها مستديرا مرعبا ذا شوارب طويلة ، فهمهم الدب بكلام مبهم ، ومن ثم تراجع وفرائصه ترتعد .

فصاحت الثعلبة :

ـ أفسحوا الطريق ، فسيخرج الحاكم إلينا الآن .

قالت ذلك فقفزت الحيوانات مبتعدة ، واختبأ بعضها فى داخل الأشجار القريبة ، وبعضها الآخر خلف جذوع الأشجار .

وخرج القط مشمش يمشى بخطوات بطيئة متمهلة ، بينما همست الثعلبة فى أذنه بأن يرفع ذيله إلى أعلى بقدر ما يستطيع .

واتجه القط مشمش إلى المائدة التى أعدت له ، وراح يتناول الطعام ، ويدمدم بحكم العادة :

ـ أكثر .. أكثر .. أكثر .

وراح فى نفس الوقت ينظر شذرا إلى الدب الواقف خلف إحدى الأشجار ، يرقب القط ويعجب فى نفسه من هذا الحاكم الغريب الذى لن يصمد أمامه دقيقة واحدة لو هجم عليه .

هذا وبينما كان القط مشمش منهمكا فى تناول الطعام ، راحت الحيوانات تتسلل مبتعدة عن المكان وقد أصابها الذعر ، وفى دقائق قليلة فرت بخطوات سريعة لاهثة ، دون أن تلقى خلفها نظرة واحدة إلى الغابة ، حيث كانت

الثعلبة وزوجها مشمش يتجولان هنا وهناك ، وحيث عاشا في هناءة وسعادة ، يصيدان ما حلا لهما الصيد .

وهكذا استطاعت الثعلبة بمكرها ودهائها أن تحوّل هذا القط عديم الفائدة ، الذى نبذه صاحبه ، إلى مصدر رعب دائم لكل حيوانات الغابة ، حتى إنها فرت جميعها خوفا منه .